بيلوس والاسكندر والشعراني في شحشبو

كامل شحاده

المساعد الفني الأول

تمهيد ، لم يكن غرضي من عنونة مقالي بهذا العنوان الطويل ، إلا التعمق والتبسط في دراسة جبل شحشبو وإيضاح ما يمتاز به من خصائص جغرافية وتاريخية وأثرية هامة غفل عن ذكرها الباحثون والأثريون . فان أصبت توفيقاً في هذه الدراسة ، فهذا ما كنت أبغي ، وإن أخفقت فحسبي أنني سلكت هذا الطريق الوعر منفرداً ولأول مرة ، ولابد لسالك من وصول .

١ – جبل شحشبو في الجغرافيا والتاريخ : يطلق السكان المحليون هذه التسمية اليوم على القسم الجنوبي من جبل الزاوية ، الذي يحده شمالاً خط بازلتي يمتد من معرة النعمان الى قرية قليدين في سهل الغاب ، وتحدّه جنوباً خرائب أفامية ، وتقوم في شرقه تلال عديدة تحف بها سهول خصبة واسعة جعلت هذه المنطقة في وقت ما من أخصب المناطق في سورية ، ويحده غرباً وادي الغاب . ولكن المؤرخين المسلمين أطلقوا هذه التسمية (جبل شحشبو) على جبل الزاوية جميعاً الذي يمتد من أريحا شمالاً الى خرائب افامية جنوباً ، ومن وادي الغاب والروج غرباً الى معرة النعمان شرقاً . ويشكل الجبل من الشرق سلسلة من التلال لا يصعب اختراقها ، ولكنه يبدو من القرب كحاجز مرتفع يتعذر عبوره ، فضلاً عن ضمهم الجبل الأعلى اليه .

ويشكل الجبل جميعه كتلة صخرية صماء تتخللهـــا سهول زراعية كبيرة ذات تربة حمراء كثيرة الخصب ، تناسب كل أنواع الزراعة البعلية .

وهو قليل السكان لكون أراضيه الزراعيـة موزعة الى قطع صغيرة من جهة ، ولكونه محروماً من الينابيع المائية من جهة أخرى . وعلى الرغم من أن عدة ينابيع تنبجس في أسفله من الغرب ، فإنها لا تجدي نفعاً في ري الأراضي وفي ارواء السكان ، لأنها بعيدة المنال . ومن أجل ذلك اضطر هؤلاء لانشاء صهاريج وحواصل يستخدمون ماءهـــا في استهلاكهم اليومي فقط .

كان هذا الجبل في الماضي البعيد بل والقريب مكسواً بالأشجار الحراجية ، كالسنديان والسيكون والبلـوط والعبهر ، أما اليوم فقد غدا بلقعـــاً الا من بضع اشجار متنـاثرة هنا وهناك .

وقد كان للصليبيين والتتر أثر كبير في قطع هذه الأشجار ولا سيما أشجار الكرمة والزيتون ، وإزالة معالم الغابات .

كان جبل شحشبو في العصر الهلنستي جزءاً من الجبل المسمى (بيلوس Bélus) الذي تحده أفامية جنوباً ، وسيروس (النبي هورى) شمالاً ، وانطاكية غرباً وخالسيس [١] شرقاً . و (بيلوس) اسم يوناني للاله (بعل) الذي كان الاله السوري الكبير . فليس غريباً اذن أن يطلق اسمه على الجبل المذكور وعلى مدينتين سوريتين أثريتين هما (خالسيس بيلوس) و (سيلوسي بيلوس) . وقد ظل موقع المدينة الأخيرة محل مناقشة واختلاف من الباحثين والأثريين ، ومن بينهم المهندس المعمار الأثري تشالنكو . وقد تمكنت من تحديد موقعها في تل جسر الشغور نفسه بنتيجة تحرياتي المحلية . وأشرت الى ذلك في تقرير أرسلته الى المديرية العامة للآثار والمتاحف تحت الرقم ٧١/٣ ص التاريخ ١٣ / ٢ / ٩٦١ .

(١) قنسرين في العهد الإسلامي الأول ، وقرية الحاضر اليوم ، تابعة لناحيـــة الزربة تقع للجنوب الغربي من حلب بـ ٤٠ كيلو متراً .

ولكن اسم بيلوس لم يدم طويلاً . فما لبث أن زال بزوال العهد اليوناني والروماني وحلت محله تسمية جديدة في العصر الاسلامي الاول ، ألا وهي (جبل السمّاق)(١) لكثرة ما فيه من أشجار السماق وقد نشطت فيه الدعوة الشيعية أيام الحمدانيين ولم تخمد حتى زمن المرداسيين (٢) .

ونجد بعد ذلك تسمية جديدة له وهي (جبل بني عُليم)(٣) . نسبة الى قبيلة عربية توطنت فيه وأعادت له ازدهاره من جديد ووقفت سداً منيعاً أمام الطـامعين من الأتراك ، والغازين من الفرنجة غير مرة .

واشتهر هذا الجبل أيضـا شهرة بأشجار الفستق . ولا نزال نسمع في حلب باعة الفستق يصفون أجود أنواعه (بالعيلامي) نسبة الى بني عليم .

وأخيراً سمّي هذا الجبل بـ (بجبل شحشبو) في العصر المملوكي(٤) ، بعد انقراض هذه القبيلة العربية . ويضمّه القلقشندي(٥) ، الى قائمة جبال الشام المشهورة ، فيقول :

---

(١) بلفظ السماق الذي يطبخ به ، هو جبل عظيم من أعمال حلب الغربية ، يشتمل على مدن كثيرة وقلاع وفيه بساتين ومزارع كلها عَذْيٌ والمياه الجارية به قليلة إلا ما كان من عيون ليست بالكثيرة .. (معجم البلدان مجلد ١ ص ١٠٢) . وسمي بذلك لكثرة ما ينبت فيه من السمّاق ، وقد ذكره شاعر حلبي بقصيدة قائلا :

وليـلة بت مسروق الكرى ارقا | ولهان أجمع بين البرّ والخبـل
حتى اذا نار ليلى نام موقدها | وأنكر الكلب أهليه من الوهل
طرقتها ونجوم الليـل مطرقة | وحلت عنها وضم الليل لم يحل
عهدي بها في رواق الصبح لامعة | تلوي ضفائر ذاك الفاحم الرجل
وقولها وشعاع الشمس منخرط | حييت يا جبل السماق من جبل
يا حبذا التلعات الخضر من حلب | وحبـذا طلل بالسفح من طلل
يا ساكني البلد الأقصى عسى نفس | من سفح جوشن يطفي لاعج الغلل
طال المقـام فواشوقاً إلى وطن | بين الأحصّ وبين الصحصح الرمل

المصدر أعلاه .

(٢) زبدة الحلب « لابن العديم » ج ١ ص ٢٤٩ .

(٣) وبنوا عليم أيضاً بطن في باهلة ، وهو عليم بن عدي ... (تاج العروس في شرح القاموس مادة علم) . ثم (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ٣٦٩) .

(٤) ذكر الأستاذ وصفي زكريا في كتابه (جولة أثرية ص ١٢٧) ان اسم جبل الزاوية اشتهر من عهد ياقوت في القرن السابع الهجري .

(٥) القاضي شهاب الدين أحمد بن علي المتوفى سنة ٨٢١ هـ . ونسبته الى قلقشندة ـ القليوبية ـ بمصر وتعرف بقرقشندة .

(جبل اللُّكام بضم اللام ، قال في رسم المعمور ، وجبل اللكام يمتدّ الى أن يصير بينه وبين جبل شحشبو اتساعة نصف يوم حتى يتجاوز صهيون والشغر وبكاس والقصير وينتهي الى انطاكية فينقطع هناك ويصير قبالة جبل الأرمن) (١) .

وجـاء في تقويم البلدان : (ويقابل جبل اللّكام المذكور عند مسامتته لأفامية المتقدمة الذكر جبل آخر من شرقيه يسمى جبل شحشبو اضافة الى قرية هناك تسمى بذلك . ويمر من الجنوب الى الشمال على غربي المعرة ومرمين وحلب ، ثم يأخذ غرباً ويتصل بجبال الروم) (٢) .

وظلت التسمية الأخيرة (شحشبو) شائعة حتى أواسط العهد العثماني ، وشاملة جميع المرتفع الحوّاري . ولما كانت الطرق الصوفية قد لعبت دوراً كبيراً في هذا العهد ، فقد أقيمت في احدى قرى المرتفع (مرعيان) زاوية كبيرة ، ابتناها الشيخ ابراهيم ، سليل السيد عبد القادر الكيلاني ، ولكن بناءها ما لبث أن تداعى من جراء زلزلة قد حدثت(٣) ، واستبدل به بناء آخر مجاور له عام (١٢٤٧ هـ) من قبل الباني نفسه . وهو يتألف من فنـــاء مستطيل من الحجر الكلسي المشذب تشذيباً جيداً . طوله ١٣,٥ م . وعرضه ٩,٥ م . وارتفاعه ٦,٣٦ م . وسقفه عبارة عن قبة ذات رقبة مثمنة الشكل تتخللها سبع نوافذ . وفي وسط وجهته الشمالية مدخل مزخرف يعلوه ساكف كتب عليه مايلي :

١ ــ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر .

٢ ــ شيدت بعد الزلزلة سنة ١٢٤٧ هـ .

وفي زاوية هذه الوجهة من الغرب ، باب يؤدي الى مئذنة منقوصة . وفي وجهاته الثلاث الأخرى نوافذ كبيرة وصغيرة . وثمة محراب حجري مشقوق في صدره الجنوبي ، ومنبر خشبي كتبت عليه الآية القرآنية الكريمة (وإن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا) .

واشتهرت هذه الزاوية شهرة واسعة بحيث ، نسب المرتفع إليها . وصار اسم (شحشبو) يطلق كما ذكرنا على القسم الجنوبي من جبل الزاوية .

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الانشاء ج ٤ ص ٨٥ .

(٢) صبح الأعشى في صناعة الانشاء مجلد ٤ ص ٨٥ .

(٣) حدثت هذه الزلزلة عام ١٢٣٧ هـ .

٢ – هل دفن الاسكندر المكدوني في شحشبو ؟

أشرنا فيما سبق الى أن هذا الجبل قد اشتهر شهرة عظيمة في العهد اليوناني . فليس غريباً اذاً أن يتردد صدى هذه الشهرة عند المؤرخين والجغرافيين المسلمين ، بحيث اعتبره بعضهم مقراً لقبر الاسكندر المكدوني . ولكن ذلك لا يزال موضع أخذ ورد من الباحثين . ولا بأس أن نبحث هذه المشكلة من جذورها وان نناقش مختلف الروايات الواردة عنها حتى نصل الى نتيجة مرضية .

فقد ذكر بعض المؤرخين المسلمين في العصرين الأيوبي والمملوكي ، ان قبر الاسكندر المكدوني فى في شحشبو في مكان قريب من أفامية . غير أنهم لم يتفقوا على تحديد مكانه تماما . ولكن ما ذكروه من ايضاحات عنه ، وما تلقيه دراسة أسماء الأماكن القريبة منه يمكننا من تعيين موضعه على وجه التقريب .

آ – قال الجغرافي ياقوت الحموي : « شحشبو ، بفتح أوله وسكون ثانيه وشين معجمة وباء موحدة ، من قرى أفامية ، يقال بها قبر الاسكندر ، ويقال أمعاؤه هناك ، وجثته بمنارة الاسكندرية ، والأكثرون على أنه مات ببابل بأرض العراق »[١] .

ب – وقال المؤرخ ابن شداد : « وبكفر طاب قرية يقال لها شحشبو بها قبر الاسكندر قيل أنه مات بها ونزع مافي جوفه ودفن وصبر جسده وحمل إلى أمه . وقد ذكر بعض أرباب التواريخ أنه مات بحمص . ولا يستبعد ذلك فان كفر طاب كانت من أعمال أفامية وأفامية من أعمال حمص »[٢] .

ج – وذكر الشيخ علي بن أبي بكر الهروي أن « شحشبو قرية من أعمال أفامية بها قبر الاسكندر ويقال أن أمعاءه هناك وجثته بمنارة الاسكندرية »[٣] .

د – وذكر ابن الشحنة ما ذكره من سبقه من المؤرخين والجغرافيين[٤] .

---

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٢٨ صادر دار بيروت للطباعة والنشر سنه ١٩٥٧ م .

(٢) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ج ١ قسم ١ ص ٥٧ تحقيق ونشر دومونيك سورديل دمشق سنة ١٩٥٣ م .

(٣) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ج ١ قسم ١ ص ٥٧ تحقيق ونشر دومونيك سورديل دمشق سنة ١٩٥٣ م .

(٤) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ص ٩٨ .

ويلاحظ أن هذه الروايات جميعاً تتفق على الظن بأن قبر الاسكندر في شحشبو وأن هذا القبر يضم أمعاءه على الأقل ، ولكن بينهمـا روايتين تختلفان في المكان الذي مات فيه الاسكندر ، فياقوت يرجح (بابل) وابن شداد يرجح حمص ، فما هو في رأينا وجه الصواب فى هذه المشكلة المستعصية ؟ . . .

نرجح احتمال دفن أمعاء الاسكندر المكدوني في جبل شحشبو للأسباب الآتية :

١ — التواتر : فلا يزال المكان الذي نرجح دفن أمعـاء الاسكندر بجواره يطلق عليه بالتواتر (تل السلطان اسكندر) . وهو تل أثري في قرية الصهرية التي هي احدى قرى جبل شحشبو وقد تردد صدى هذا التواتر في وثيقة مخطوطة يرقى تاريخهـا الى القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) ، تتضمن ادعاء القيم على وقف مدرستي العصرونيـة والنورية بمدينة حمـاة على ضابط مقاطعة شيزر بشأن مزارع قرية شحشبو ، وهي الصهرية المذكورة . ونقتطف من هذه الوثيقة مايلي :

« ادعى صالح أفندي بن علي أفندي الهلالي ، المتولي على وقف المدرسة العصرونية والنورية الكائنتين في حماة المحمية ، على محمد آغا بن محمد الزعيم ، ضابط مقـاطعة شيزر . . . . قائلاً في تقرير دعواه عليه ، أنه وضع يده على مزارع قرية شحشبو ، المعروفة يومئذ بقرية الصهرية من أعمال شيزر ، وهي من جملة وقف العصرونية والنورية . . . . ويطلب رفـع يده عن المزارع المرقومات وتسليمهم [١] له بالطريق الشرعي . وسـأل سؤاله ، فسئل من المدعى عليه ، فأجاب بالإنكار على ذلك ، لكنه وضع يده على مزارع الميري ، المحاذاة [٢] وهم [٣] . مزرعة أفتا الجبل ومزرعة دير سنبل ، وانقراتا ومزرعة برهه ومزرعة رشيد الصغرى حد الأولى وهي مزرعة أفتا الجبل . قبلة النطيحة ، وشرقاً الطريق السالك الآخذ الى القطيرة وغرباً الجبل ، وشمالاً مزرعة دير سنبل .

(١) كذا وردت .
(٢) كذا وردت .
(٣) كذا في الأصل .

وحد الثانية . وهي انقراتا الصغرى . قبلة قناة سلمية (١) ، وشرقاً انقراتا الكبرى ، وشمالاً تخم قليدين ، وغرباً تل السلطان اسكندر . . . .

وحد الثالثة ، وهي مزرعة برهه . قبلة قناة سلمية وشرقاً انقراتا ، وشمالاً تل السلطان اسكندر ، وغرباً مزرعة رشيد . . . . . . بتاريخ أواخر شهر شعبان المعظم من شهور سنة اثنين وتسعين وألف (٢)

٢ ـ طراز البناء : وربما كان المكان الذي رجحنا فيه دفن أمعاء الاسكندر مقراً لمعبد هيلنستي الا وهو (معبد أفامية) ، وقد أشار السيد تشالنكو الى هذا المعبد دون أن يحدده تماماً ، فأوضح أن المعابد الوثنية اليونانية والرومانية كانت تبنى عادة في الهواء الطلق ، وعلى قمم الجبال ضمن ساحة صغيرة ونقوش بسيطة (٣) .

ومن الطبيعي أن يكون هذا المعبد قد أقيم في مكان معبد سابق للاله بيلوس ، وقد بقي من المعبد الأخير سوره (انظر المخططات ٣ و ٤ و ٥ و ٦) .

ويلاحظ أن رضام أحجار المعبد المذكور تتألف من صفوف مستقيمة من الأحجار المستطيلة المشذبة المنتظمة ، تتفق وتقاليد الفن الكلاسيكي ، على عكس احجار جدر السور غير المنتظمة ، التي لم ينل التشذيب منها الا اطرها فقط . وقد كان هذا النموذج غير المنتظم مظهر الزينة عند الانطاكيين قبل مجيء الرومانيين .

ومخطط المعبد مربع الشكل طول ضلعه من الخارج عشره أمتار وطوله من الداخل ٣و٢٥ م .

٣ ـ استراتيجية المكان : فقد أقيم المعبد في أعلى نقطة من قمة المرتفع منفرداً مطلاً على ينابيع (باب الطاقة) الغزيرة في وادى الغاب .

٤ ـ طابع البناء الجنائزي : ونلاحظ في هذا المعبد ما لا نلاحظه في أمثاله من المعابد الهلنستية والرومانية ، فهو خال من الأعمدة من جهة ، وضيق الفراغ الداخلي المربع الذي

---

(١) قناة سلمية ـ افامية أو قناة العاشق راجع الحوليات الأثرية مجلد رقم ٧ ص ١٥٥ .
(٢) راجع سجلات المحكمة الشرعية بحماة المحفوظة في متحف حماة
(٣) J. Tchlenco, Villages Antiques de la Syrie du nord Vol I, pp. 14 - 16 .

لا يتجاوز طول ضلعه ٣,٢٥ م من جهة أخرى ، علماً بأن بنيانه الخارجي ذو سماكة كبيرة جداً تقدر بـ ٣,٣٨ م . وطول ضلعه كما ذكرنا سابقاً عشرة أمتار . فضلاً عن كونه مكسواً بكتل من الأحجار الضخمة . وربما كان هذا الشكل من البناء دليلاً آخر على طابع المعبد الجنازي وعلى مثوى لقبر ، لعله أن يكون قبر الاسكندر .

ومما يوكد هذا الزعم أن ثمة ممراً ضيقاً يبدأ من مدخله ويتخلل جدره السميكة إلى أن ينتهي بالفراغ الداخلي (انظر المخطط رقم ٢) .

ولعل هذا البناء الكثيف السميك حدت إلى اقامته بهذا الشكل الرغبة في حفظ القبر الذي يستقر في داخله ، من تأثير الزلازل والهزات الأرضية الكثيرة الحدوث في هذه المنطقة .

٣ – مقام الشعراني : ظل بنيان المعبد المذكور آنفاً خالياً من أي عنصر دخيل حتى القرن الحادي عشر الهجري أي بعيد وفاة الإمام عبد الوهاب الشعراني(١) المتوفى سنة (٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) .العالم التقي الصوفي (٢) فجاء من اتخذ له مزاراً أو مقاماً ضمن البناء المذكور(٣) وابتنى قبة مستقلة على سطحه لا يتصل فراغها بفراغه الداخلي ، ووضع فيه قبراً وهمياً ، وضيق مدخله الشرقي بأن أضاف إليه عضادتين وساكفا من أحجار صغيرة (انظر المخطط العام رقم ٢) . ثم اضيف إلى المقام في الجهـــة الشمالية الشرقية فيما بعد ثلاث غرف صغيرة تتجه وجهاتها إلى

---

(١) هو عبد الوهاب بن احمد بن علي بن احمد بن محمد بن موسى الشعراني ، الأنصاري الشافعي الشاذلي المصري (أبو المواهب ، أبو عبد الرحمن) من ذرية محمد بن الحنفية حفظ القرآن وابا شجاع والأجرومية وهو ابن سبع أو ثماني سنين ، فقيه ، أصولي ، محدث صوفي ، مشارك في أنواع من العلوم . ولد في قلقشندة بمصر في ٢٧ رمضان سنة ٨٩٨ هـ ١٤٩٣ م . ونشأ بساقية أبي شعرة من قرى المنوفية ، وتوفي بالقاهرة من تصانيفه الكثيرة . الجوهر المصون ، والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم . والدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة ولواقح الأنوار في طبقات الأخيار ، والمقدمة النحوية في علم العربية وشرح جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه (شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٧٢ و معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة ج ٦ ص ٢١٨ طبع دمشق سنة ١٩٥٨) .

(٢) راجع ترجمته المفصلة في شذرات الذهب المصدر السابق .

(٣) للشعراني مقامات أخرى في غير هذا المكان : فله في جبل العلويين مقام ، وله في كفر روما (المعرة) مقام آخر . والمقام الأخير بناء أثري يقع في شمال القرية المذكورة على مسافة ثلاثة كيلو مترات .

الجهة الجنوبية ، على صف واحــد يمتد من مدخل المقام حتى جدار السور الشرقي (المخطط رقم ٢) .

وكان بنيانها يتألف من أحجار صغيرة الحجم مشذبة قليلاً غير منحوتة ، تشبه أحجار القبة المشار إليها . وربما انشئت هذه الغرف من أجل رواد هذا المقام وزواره من جهـة ، ولإقامة خادم التربة (التربداري) التي احدثت في الباحة أمام الغرف جنوبا ، من جهة أخرى .

وقد أوقف بعضهم أوقافاً على هذا المقام تسد نفقات المتولي عليه والمشرف على تربته وما يحتاج إليه من تنوير وفرش الخ ...

يدلنا على ذلك النص الآتي الوارد في سجلات المحكمة الشرعية في حماة .

(قرر مولانا قدوة المدرسين الكرام فخار الموالي العظام الحاكم الشرعي الموقع خطه الكريم اعلاه ذخر الصلحاء الشيخ محمد في خدمـة التولية في مقام ولي الله الشعراني . والشيخ علي في خدمة - التربدارية في مقام ولي الله المذكور بموجب البراءتين الشريفتين المخلدتين بيدهما المصرحتين في ذلك تقريراً شرعياً محرراً مرعياً مصطراً بالطلب من الشيخ محمد والشيخ علي التربدار المذكورين بتاريخ أواسط شهر محرم الحرام من شهور سنة اثنتين وثمانين والف . .[1] .

ولا بأس ان نقف ملياً عند هذا المقام لنحيط بتفاصيله ونلم بخصائصه الفنية .

فهو يقيم بمكان استراتيجي عظيم ، في نقطة مرتفعة في جبل شحشبو على مسافة ٥/كم . شمالي قلعة المضيق مطلاً من الغرب على باب الطاقة وينابيعها ، ووادي الغاب والروج والطار (الصورة رقم ١) . ومشرفاً من الجهة الشرقية على شيزر وقرون حماة .

والمقام (الصورة رقم ٢) مربع الشكل طول ضلعه من الداخل ٣،٢٥ م وطول ضلعه من الخارج ١٠ م (الصورة رقم ٣) ، أما قبته التي نوهنا بها سابقاً فهي مخروطية الشكل قطرها ٣،٢٥ م وارتفاعها مثل ذلك (الصورة رقم ٤) . وتحف بالمقام من جهاته الجنوبية والشرقية والغربية باحة رحبة مربعة الشكل طول ضلعها ٢٥ م . ولم تكن هذه الباحة أفقية لولا تسوية مكان البناء بإقامة جداري السور الشرقي والغربي على ارتفاع يساوي سطح الباحة (المخطط ٣ و ٤) . وكانت هذه التسوية في هذين الجدارين أكثر منها في جداري السور الجنوبي والشمالي .

(١) راجع السجل ٣٧ من سجلات المحكمة الشرعية بحماة المحفوظة بمتحف حماة .

وفي هذه الباحة قبور إسلامية حديثة تتخللها غراس صغيرة من العنب والتين ، فضلا عن صهريج طبيعي محفور بالصخر لخزن ماء المطر . يحيط بها سور ذو جدر يتراوح ارتفاعها بين متر وخمسة أمتار وتبلغ سماكتها متراً واحداً وقد كسيت بالاحجار الكلسية الضخمة جدا ، ورصف بعضها إلى جانب بعض رصفاً غير منتظم بأحكام واتقان جيدين (الصورة رقم ٥ ومخططات الوجهات الأربعة) . وقد بينا في الصفحات السابقة أن هذا المقام كان معبداً فذا لهذه المنطقة في العصر الهلنستي ، وان نموذجه نسيج وحده .

وإذا ما أراد زائر زيارته فإن عليه أن يسلك إليه من الشمال الغربي للسور مدخلاً (١) كائناً بين عضادتين حجريتين قائمتين بين الوجهة الغربية للمقام وبين جدار السور الغربي ، ارتفاع كل منهما ١،٣٠ م (الصور رقم ١ و ٢ و ٣) ، ثم يسلك ممراً غربياً غير عريض في الباحة (الصورة ١٠) مجتازا للباحة الجنوبية التي تفصلها عن المقام مصطبة صخرية واسعة مربعة الشكل تقريباً ترتفع عن مستوى الباحة قليلاً (المخطط ٢ والصورة ٤) .

ويمضي بعد ذلك إلى الشمال في طريق الباحة الشرقية التي تحدها شرقاً قبور التوبه وغراس العنب والتين ، ، ويحدها غرباً صهريج الماء إلى أن يصل إلى مدخل المقام المتجه إلى الشرق (٢) (المخطط رقم ٢ والصورة رقم ٣) .

ويلاحظ هنا أن مدخل المقام قد ضاق أكثر من ذي قبل بعد أن انقلب الى مزار في العهد العثماني ، فأضحى ارتفاعه ١٠٥ سم وعرضه ٦٠ سم ، بعد أن كانت أبعاده السابقة ١٦٥ × ١٤٥ سم (المخطط رقم ٦ والصورة ٣) .

حال البناء سليمة بصورة عامة ، وان كان الأكل قد أصاب بعض أحجاره . وفي كل وجهة من وجهتيه الشرقية والغربية ستة مداميك ونصف المدماك ، وفي كل وجهة من وجهتيه الجنوبية والشمالية خمسة مداميك . وجميعها مداميك أفقية رصفت أحجارها رصفاً منتظما (الصور ٣ و ٤ و ١٠ و ١٢ والمخططات من ٣ — ٦) .

ويصل الزائر الى المقام الجواني بعد أن يجتاز ممراً ضيقاً يلي المدخل ، كائناً بين كتلتين كثيفتين سميكتين من الجدار الشرقي للمقام ارتفاعه ٢ م وعرضة ١،٢٥ م وطوله ٢،٦٥ م .

---

(١) وربما كان لهذا المقام مدخل آخر قديم من الجهة الشرقية من جدار السور الجنوبي (المخطط ٤) .
(٢) وهذا دليل آخر على أن هذا المقام كان فيما مضى معبداً لاتجاه مدخله الى الشرق .

أما المقام الجواني نفسه فمربع الشكل كما بينا طول ضلعه ٣٫٢٥ م ، سقفه نصف اسطواني منحن فيه كوة مستطيلة طولها ٩٠ سم وعرضها ٦٠ سم (المخطط رقم ٢) فضلاً عن القبر الموهوم المشار اليه آنفا .

ولا بد لنا أن نتحدث قليلاً عن جدر السور التي تحيط بمقام الشعراني .

فجدار السور منقوص ، لم يبق من أحجاره الضخمة الأصلية إلا قليل في الجهة الشرقية . تدلنا على ذلك الأحجار الصغيرة المنتظمة الحديثة التي وضعت فوقها والتي غدت بمثابة الوجهة الشمالية للغرف الثلاث المذكورة (الصورة رقم ٩)

وربما كانت هذه الأحجار الأخيرة قد استصنعت من الأحجار الأولى المنقوصة بعد تساقطها وتقوم مقام الجهة الغربية لهذا الجدار الوجهة الشمالية من المقام ، مقام الجدار فيهـــا ، وقد اكملت هذه الوجهة في الأعلى بأحجار صغيرة حديثة منتظمة (المخطط رقم ٣) .

والجدار الجنوبي للسور منقوص أيضـا ، ولكن أحجاره الضخمة غير المنتظمة أكثر عدداً ويلاحظ بأنها أكثف في الجهة الغربية منها في الجهة الشرقية التي يعتقد أنها تحتوي على مدخل قديم في السور . وتتوضع فوق هذه الاحجار أيضا أحجار صغيرة منتظمة تكمل المنقوصة من جهة ، وتعلي ارتفاع الجدار من جهة اخرى (المخطط رقم ٤ والصورة رقم ٧) .

والجدار الغربي للسور اكثف في أحجاره الضخمة في جهته الجنوبية منه في جهته الشمالية ، ويلاحظ أثر الزلازل فيها ، إذ أصابها تصدع وتشقق واضحان . كما يلاحظ أيضـاً استخدام كتلة صخرية صماء ضخمة في الجهة الشمالية بدلاً من الأحجار الضخمة . وتعلو الجدار احجـار صغيرة منتظمة حديثة أيضا . (المخطط رقم ٥ والصورتان ١١ و ٣) .

وأما الجدار الشرقي للسور فأحجاره الضخمة الأصلية لا تزال على حالها رغم فقدان عدد قليل منها . ولا يخلو هذا الجدار من تأثره بالزلازل أيضا يدل على ذلك تصدع وتشقق واضحان أيضا بين احجاره ويلاحظ ان الجدار من الجهة الشمالية تعلوه أحجار صغيرة منتظمة تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الواجهة الشرقية للغرفة الشرقية (المخطط رقم ٦ والصور ٥ و ٦ و ٨) .

<u>ولكن ما هي خصائص هذا البناء الفنية ؟</u>

آ - متانة البنيان وإحكامه . ولا سيما في جدران السور ، فقد قاوم الزمان وصارع الحدثان .

ب — ضخامة أحجاره وعدم انتظامها : وتلاحظ هذه الخاصية في جدران السور كما رأينا وقد رصفت الأحجار بعضها الى بعض بدقة متناهية وإحكام شديد .

ولما كانت غير منتظمة في أشكالها الهندسية ومختلفة الارتفاع ، فلا عجب أن تغدو مداميكها متكسرة وقد عللنا في الصفحات السابقة هذه الخاصية بالرغبة العميقة في حفظ البناء من تأثير الزلازل الكثيرة الحدوث في هذه المنطقة .

ولا بأس ان نشير إلى ان بعض ابنية رفادة في جبل سمعان التي ترجع الى القرن الأول الميلادي تشبه بعض الشبه هذا النموذج الضخم من البناء (١) .

ج — استخدام المداميك الافقية : ونرى ذلك بوضوح في بنيان المقام نفسه الذي تعتبر جدره احدث عهداً من جدر السور . وقد طرأ هذا التغيير على هذا البنيان من جراء تحويل المعبد الأصلي الى معبد جنازي في العهد الهلنستي .

ويلاحظ ان هذين الأسلوبين في البناء : أسلوب المداميك المتكسرة (الصورة ١٣) وأسلوب المداميك الأفقية قد شاعا في بعض ابنية رفادة القديمة . وفي جدرين و كفرنان التابعتين لحماة ، وفي تل الذهب وقلعة الربا وتل الدبة التابعين لسلمية .

خاتمة :

وبعد فقد قصدت بهذا المقال أن ألفت الانتباه إلى هذا الموضوع الخطير ، وان استثير همم الباحثين والأثريين لكشف ما استبهم علي ، ولسد الثغرات التي ظلت مفتوحة ، ولعل تعاون الباحثين بعضهم مع بعض ، قمين بإظهار الحقيقة والكشف عن المجهول والله ولي التوفيق .

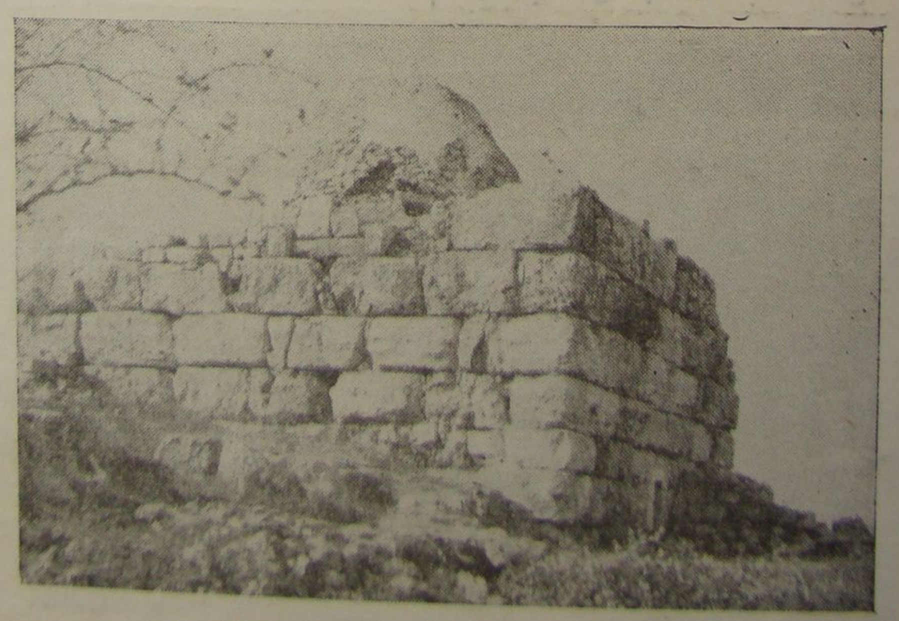
كامل شحاده

(1) J. TCHALENCO , Villages antiques de la Syrie du nord Vol. 1. 2. P. 185, Pl. 178 .

صورة رقم (١) الشعراني - منظر هضبة شحشبو فوق الغاب

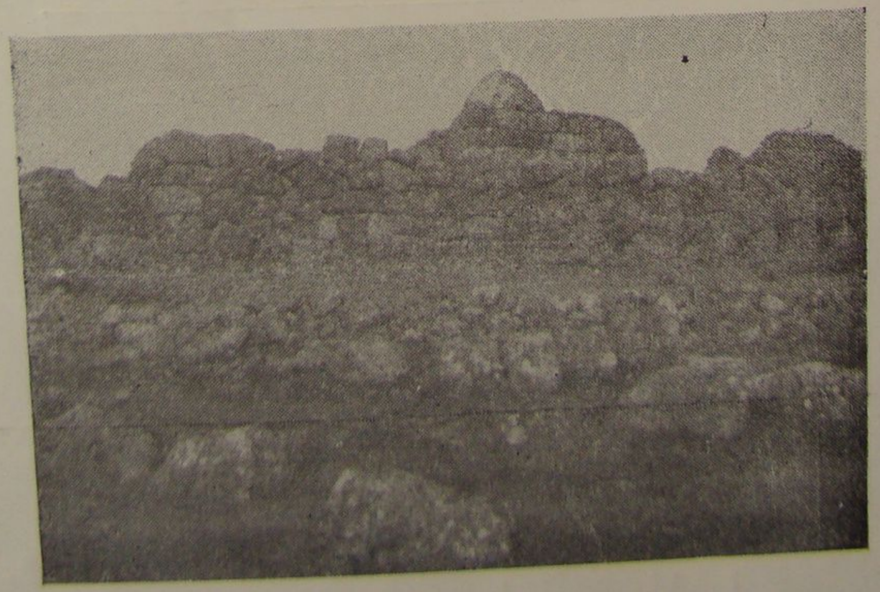
اللوح رقم (٢)

صورة رقم (٣) الشعراني - واجهة المقام الشرقية مع المدخل

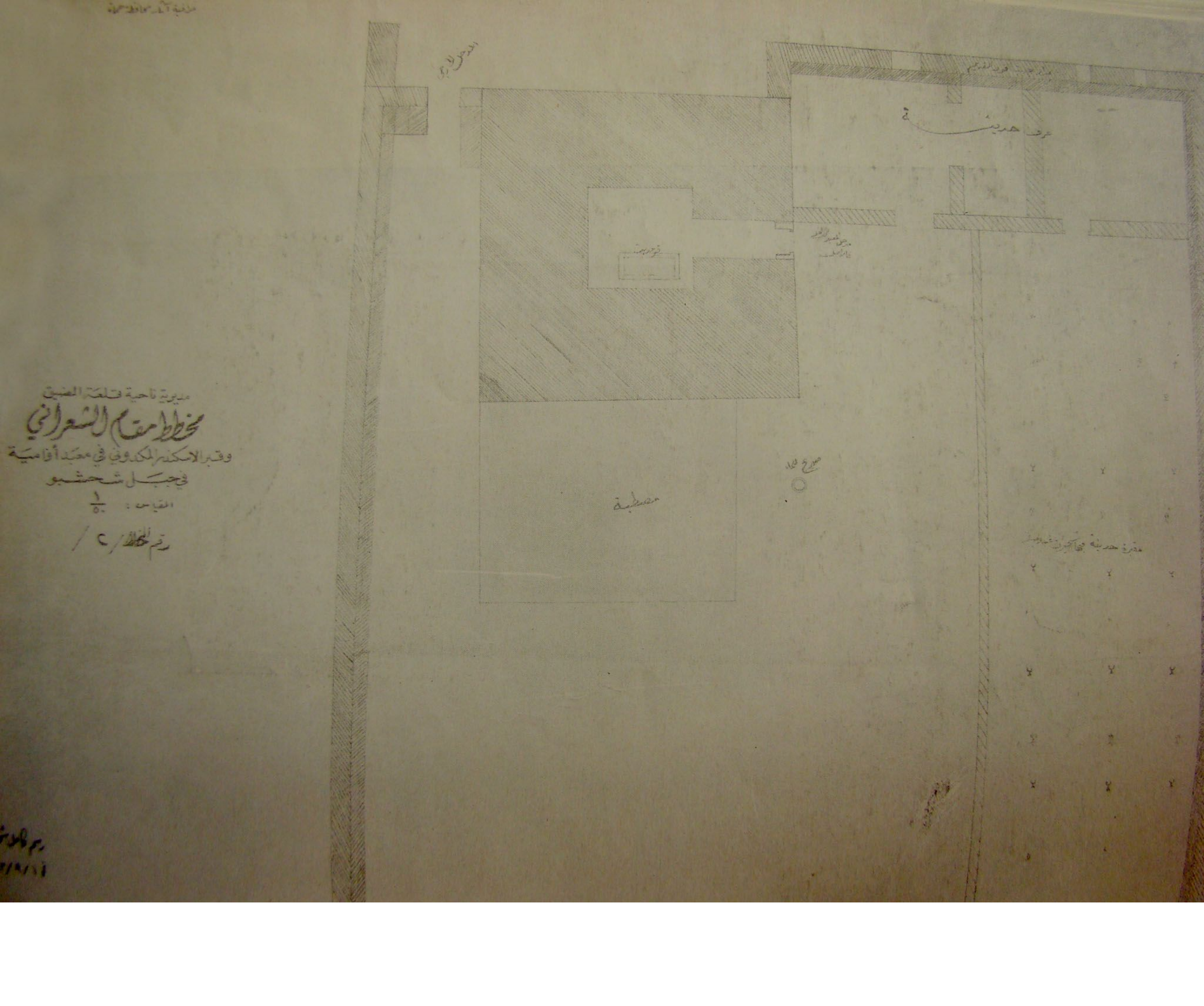


صورة رقم (٤) الشعراني - واجهة المقام الجنوبية

صورة رقم (٥) الشعراني ـ القسم الجنوبي من جدار الباحة من الشرق



صورة رقم (٦) الشعراني ـ واجهة السور الشرقية


مديرية ناحية قلعة المضيق
مخطط مقام الشعراني
وقبر الاسكندر المكدوني في معبد أفامية
في جبل شحشبو
المقياس : ١/٥٠
رقم المخطط / ٢ /
غرف حديثة
مصطبة





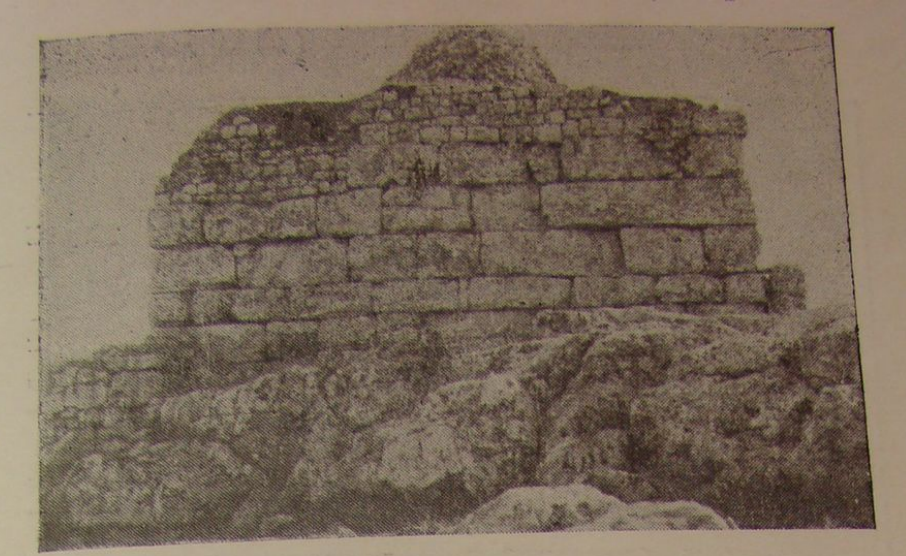
صورة رقم (٧) الشعراني - زاوية جدار الباحة الجنوبية الغربية



صورة رقم (٨) الشعراني - القسم الشمالي من واجهة الباحة الشرقية



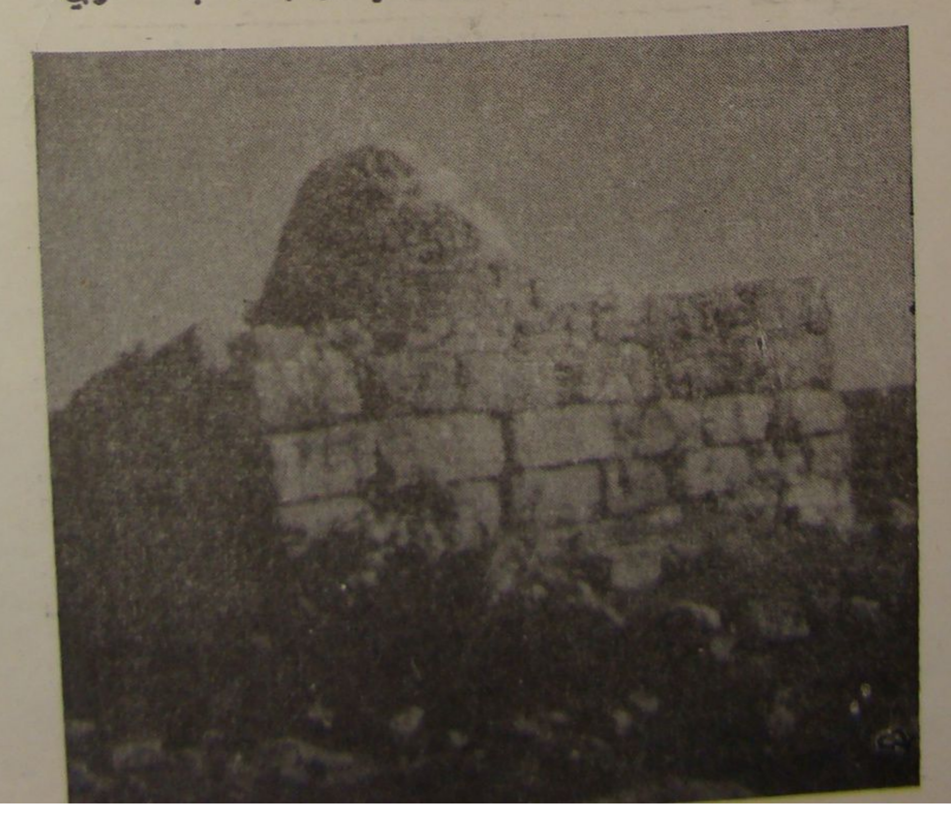
صورة رقم (٩) الشعراني - القسم الشرقي من جدار الباحة الشمالي



صورة رقم ١٠ الشعراني ـ الجانب الشمالي من بناء المقام يقوم مقام جدار الباحة الشمالي



صورة رقم (١١) الشعراني ـ الجانب الشمالي من جدار الباحة الغربي



اللوح رقم (٦)



صورة رقم (١٣) الشعراني - القسم الغربي من جدار الباحة الجنوبي



صورة رقم (١٤) بقايا بناء حصن غربي القرية في قرية جدرين - حماه